الفصل الخامس
التربية فى التفسير بالمأثور
للقرآن الكريم

	الصفحة
أولاً : مفهـــوم التربية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم	١٩٤
ثانياً : الجوانب الشمولية فى التربية .	١٩٥
١ - التربية الجسمية .	١٩٥
٢ - التربية العقليـــة .	٢٠١
٣ - التربية الخلقيـــة .	٢٠٥
٤ - التربية الروحيـــة .	٢١١

obeikandi.com

أتى الإسلام بقواعد ومنطلقات أرست دعائم النظرة للإنسان، فقد نظر الاسلام للإنسان على أساس ماوهبه الله من الأسرار والاستعداد للقيام بمهمته فى الحياة، وهى عبادة الله والخضوع له وحده .

فالإنسان مخلوق ذو طبيعة مزدوجة ، معنوية ومادية ، هما فى الإسلام ملاك الذات الإنسانية، تتم بهما الحياة ، وقد أولى الإسلام عنايته بهذين الجانبين المادى والمعنوى بطريقة متوازنة ، فلم يطغ الجانب المادى على الجانب المعنوى ، ولم يقلل الجانب المعنوى من شأن الجانب المادى، إنما أعطى لكل حقه بلا تفاضل ، بل فى توازن وتكامل .

فالانسان بطبيعته المادية قادر على السعى فى الأرض ، وتعميرها وتحسينها ، واكتشاف أروع مافيها من كنوز ونعم ، وتسخير قواها المتنوعة بإذن الله لمنفعته والنهوض بمهمته ، لذلك أولى الإسلام الاهتمام البالغ بالجسد كمكون من مكونات الطبيعة الانسانية ، فى قوته سيادة للإنسان، وفي سلامته قدرة للإنسان على آداء دوره ووظائفه فى الحياة .

وبقدر هذا الاهتمام بالجسد كان الاهتمام بالقلب والعقل والروح كجانب معنوى ، فالقرآن يشير إلى العقل ليس كمجرد مكون من مكونات الطبيعة الانسانية ، وإنما كوظيفة فهو وسيلة الانسان إلى الحقيقة ، والى الإيمان بالله وكتبه ورسله ، وهو موطن تمييز الانسان عن الحيوان .

والروح ذلك المكون الذى لايعرف الانسان كنهه ، فقد اختص الله بعلمه ، وحجبه عن عباده جميعاً ، حتى الانبياء والرسل .

والقلب تلك المضغة التى اذا صلحت صلح الجسد كله ، فهو محل الايمان ومركز رسوخه وهو يقوم بوظائف غيره من مكونات الطبيعة الانسانية وبخاصة العقل .

أتى القرآن الكريم بهذه المبادىء والأسس ، وفصلتها السنة الشريفة التى استطاعت ترجمة الوحى إلى واقع ملموس ومشاهد ، وصار من اللازم إعمال الفكر والعقل لتحويل هذه المبادىء والأسس إلى واقع تربوى ، يستمد تصوراته عن الكون والحياة والانسان من هذين المصدرين

الإساسين ، وتنبثق منهما فلسفته الواضحة ، ويقيم تنظيماته التربوية كلها على أساس حقيقة تكامل الطبيعة الانسانية وترابطها .

أولاً : مفهوم التربية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم : -

ذكرت "التربية" بلفظها فى أيتين من أيات القرآن الكريم ، هما قوله تعالى : - "قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين" (الشعراء : ١٨) ، وقوله تعالى : "وقل ربى ارحمهما كما ربيانى صغيرا" (الاسراء : ٢٤) ، فى التفسير بالمأثور للأية الأولى لم يذكر معنى لفظة التربية ، وفى تفسير الأية الثانية قال أبو جعفر الطبرى : "وعنى بقوله ربيانى نميانى"(١) .

أما فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "أن اشكر لى ولوالديك إلىَّ المصير" (لقمان : ١٤) عن مجاهد : "يقول وعهدنا إليه أن اشكر لى على نعمى عليك ، ولوالديك تربيتهما إياك ، وعلاجهما فيك ماعالجا حتى استحكم قواك"(٢) .

والملاحظ مما سبق أن ماذكر فى تفسير "التربية" كان بمعنى النمو ، كقول الطبرى "ربيانى أى نميانى" ، وأن هذا النمو يتعلق بمرحلة الطفولة فى حياة الانسان ، فقوله تعالى : "وليداً" فى (الشعراء : ١٨) ، وقوله تعالى : "صغيراً" فى (الاسراء : ٢٤) وقول مجاهد : "حتى استحكم قواك" فى تفسير الآية (لقمان : ١٤)، يدل على عملية الإعداد والرعاية التى يتحمل الكبار مسئولية تقديمها للأطفال فى بداية حياتهم ، وإلى أن يصبحوا قادرين على السعى لاكتساب العلم طوال حياتهم، وحتى يصلوا إلى مرحلة الخرف وسن الهرم، ولهذا كان العلم أكثر شمولاً من التربية من حيث استمراريته الزمنية واستغراقه مراحل عمر الإنسان كلها واتساع مجالاته فى أمور الدين والدنيا.

---

(١) تفسير الطبرى : حـ١٥ ، ص٥٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده): "حدثنى الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن ابى نجيح عن مجاهد.
- تفسير الطبرى : حـ٢١ ، ص٤٥ .

ومن جانب أخر فإن هذا لايعني توقف التربية عند مرحلة الطفولة ، لأن الانسان فى نمو مستمر ، والتربية عمليه مستمرة أيضاً ، وإذا لم يكن قد صرح باستمرار عملية التربية بعد مرحلة الطفولة فى أيات القرآن الكريم وتفسيرها بالمأثور ، قفد اتضح من خلالها شمول التربية لكل مكونات الطبيعة الانسانية فتربية الجسم ، وتربية العقل ، والتربية الخلقيه ، والتربية الروحية ، لاتقتصر على مرحلة الطفولة ولايعقل أن تتوقف بعدها ، بل هى مستمرة مع الانسان وتلازمه منذ طفولته الى صباه فشبابه فكان هذا الشمول فى التربية دليل استمراريتها أيضاً ، شأنها فى ذلك شأن التعليم .

والاسلام دين يجارى الطبيعة الانسانية فى تركيبتها المترابطة أجزاؤها ، والممتزجة مكوناتها، فلا فصل بينهما ، ولاتفضيل لبعض منها على الأخر ، بل الكل كيان واحد ، لذلك كانت طريقة الإسلام فى التربية هى معالجة الكائن البشرى معالجة شاملة والاهتمام بالقيام بإصلاح أمره فيما يتعلق به جسماً وعقلاً وخلقاً ، فرداً ومجتمعاً بغيره ، وفيما يتعلق بعلمه وعمله وكل نشاطه على الأرض ...

ثانياً : الجوانب الشمولية فى التربية :

من خلال التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم يمكن توضيح بعض جوانب شمول التربية لمكونات الطبيعة الإنسانية .

١ - التربيـــة الجسميـة :

يعترف الاسلام بالطاقة الحيوية المنبعثة من الجسم ، ويتجه إلى تربيتها بالتنظيم والتهذيب لابالكبت والقمع ، لذلك دعا إلى التمتع بنعم الله التى أحلها لعباده ، ونهى عن تحريمها ، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق" (الاعراف : ٣٢) فسرها ابن عباس بالقرآن ، قال : "إن الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من

الثياب وغيره ، وهو قول الله "قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً " وهى الأية (يونس : ٥٩) وعن قتادة "قل من حرم زينة الله" ... قال هو ماحرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام"(١) .

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إن لكم عدو مبين ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون" (البقره : ١٦٨ - ١٦٩) عن السدى قال أما السوء فالمعصية وأما الفحشاء فالزنا وأما قوله وأن تقولوا على الله مالا تعلمون فهو ماكانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى ويزعمون أن الله حرم ذلك ، فقال الله تعالى ذكره لهم "ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون"(٢) وهى الأيه (المائدة : ١٠٣) ومما يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك عن ابى اسحق قال سمعت أبا الأحوص عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل تنتج أبل قومك صحاحاً أذانها فتعمد إلى الموسى فتقطع أذانها فتقول هذه بحر ، وتشقها أو تشق جلودها فتقول هذه حرم فتحرمها عليك وعلى أهلك . قال نعم ، قال : فإن ماأتاك الله حل لك ، وساعد الله أشد ، وموسى الله أحد"(٣).

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس".

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال سعيد عن قتادة" .

- **تفسير الطبرى** : حـ٨ ، ص١٢١ .

(٢) عن السدى (سنده) : "حدثنى موسى بن هارون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى" .

- **تفسير الطبرى** : حـ٢ ، ص٤٦ .

(٣) عن ابى اسحق (سنده) : "حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابى اسحق" .

- **تفسير الطبرى** : حـ٧ ، ص٥٦ .

وكما أحل الله للناس من الطعام والشراب ماينفعهم ويفيد أجسامهم ، فانه قد حرم مايؤذيهم ويضر بأجسامهم ، قال تعالى : "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير" (البقرة : ١٧٣) قال ابن كثير فى تفسيره : "ولما امتن تعالى عليهم برزقه وأرشدهم إلى الأكل من طيبه ، ذكر أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا الميتة وهى التى تموت حتف أنفها من غير تذكية وسواء كانت منخنقة أو موقوذة أو مترديه أو نطيحة أو عدا عليها السبع ، وقد خصص الجمهور من ذلك ميتة البحر لقوله تعالى : "أحل لكم صيد البحر وطعامه". وفى المسند والموطأ والسنن قوله عليه الصلاة السلام فى البحر" هو الطهور ماؤه الحل ميتته" وروى الشافعى وأحمد وابن ماجه والدار قطنى حديث ابن عمر مرفوعاً "أحل لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال ، وكذلك حرم عليهم لحم الخنزير سواء ذكى أو مات حتف أنفه ويدخل شحمه فى حكم لحمه"[1] ، وهذه المحرمات ثبت ضررها بالإنسان وإن لم يكن قد صرح به فى التفسير بالمأثور لهذه الأيات.

وماتبين بشأن الطعام والشراب ينطبق على سائر احتياجات جسم الانسان وشهواته ، فقد توجهت إليها التربية الاسلامية بالتنظيم والتهذيب من خلال أطر محددة تحلل له مايفيده وينفعه منها ، وتحرم عليه مايضره ويؤذيه .

وتحرص التربية الجسمية فى الإسلام على تنمية عادات العناية بالنظافة الشخصية للمسلم، والحرص على طهارة جسمه ويتمثل ذلك فى فرض الغسل والوضوء قبل الصلاة ، يقول تعالى: "ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون" (المائدة : ٦) قال أبو جعفر الطبرى : "ولكن الله يريد أن يطهركم بما فرض عليكم من الوضوء من الإحداث، والغسل من الجنابة، والتيمم عند عدم الماء، فتنظفوا لتطهروا بذلك أجسامكم من الذنوب"، ويعنى ذلك أن فى نظافة الجسم بالوضوء والغسل تطهيراً للنفس من الذنوب قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم "من توضأ فأحسن الوضوء

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ١ ، ص٢٠٥ .

ثم قام الى الصلاة خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مامن رجل يتوضأ فيغسل وجهه الا خرجت خطاياه من وجهه، وإذا غسل يديه أو ذراعيه خرجت خطاياه من ذراعيه ، فإذا مسح رأسه خرجت خطاياه من رأسه ، وإذا غسل رجليه خرجت خطاياه من رجليه"(١) .

وكلما زاد المسلم وأفاض فى الوضوء زاد تطهيره من الذنوب وتخلصه منها ، عن حمران مولى عثمان قال : أتيت عثمان بن عفان بوضوء وهو قاعد فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ كوضوئى هذا ثم قال من توضأ وضوئى هذا كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه.(٢)

وطهارة الجسم كما تطهر المسلمين من الذنوب فهى أيضاً تذهب عنهم وسوسة الشيطان وتثبت أقدامهم، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام" (الأنفال : ١١)

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنا ابو كريب ومحمد بن المثنى ويحيى بن داود الواسطى قالوا حدثنا ابراهيم بن يزيد القرشى قال اخبرنا رقبه بن مصقله العبدى عن شمر بن عطيه عن شهر بن حوشب عن ابى أمامه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنا أبو كريب قال ثنا معاويه بن هشام عن سفيان بن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن كعب بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- تفسير الطبرى : حـ٦ ، ص٨٩ .

(٢) عن حمران مولى عثمان : "حدثنا عمران بن بكار الكلاعى قال حدثنا على بن عياش قال ثنا أبو غسان قال ثنا زيد بن اسلم عن حمران مولى عثمان" .

- نفس المرجع .

عن السدى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فسبقهم المشركون الى ماء بدر فنزلوا عليه وانصرف أبو سفيان وأصحابه تلقاء البحر فانطلقوا فنزلوا على أعلى الوادى ونزل محمد صلى الله عليه وسلم فى أسفله فكان الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يجنب فلا يقدر على الماء فيصلى جنباً فألقى الشيطان فى قلوبهم فقال كيف ترجون أن تظهروا عليهم وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنباً على غير وضوء قال فأرسل الله عليهم المطر فاغتسلوا وتوضؤا وشربوا واشتدت لهم الأرض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم"(١) .

والله يحب المتطهرين كما قال تعالى : "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (البقرة : ٢٢٢) عن عطاء أن الله يحب التوابين من الذنوب لم يصيبوها ويحب المتطهرين بالماء للصلاة"(٢) .

كما أثنى الله على المتطهرين الحريصين على نظافة أجسامهم ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين" (التوبة : ١٠٨) ، عن الشعبى قال لما نزلت "فيه رجال يحبون أن يطهروا" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء ماهذا الذى أثنى الله عليكم ، قالوا : مامنا من أحد ألا وهو يستنجى من الخلاء . وعن الحسن قال لما نزلت هذه الأية ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا الذى ذكركم الله به فى أمر الطهور فأثنى به عليكم ، قالوا نغسل أثر الغائط والبول، وعن مسلم القرى قال : قلت لابن عباس أصبَ على رأسى وهو محرم قال ألم تسمع الله يقول ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.(٣) .. وهكذا اتجهت التربية الإسلامية الى ترغيب الانسان فى

---

(١) عن السدى (سنده) : "حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى .
- **تفسير الطبرى** : حـ٩ ، ص١٣٠ .

(٢) عن عطاء (سنده) : "حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن طلحه بن عمرو عن عطاء" .
- **تفسير الطبرى** : حـ٢ ، ص٢٣١ .

(٣) عن الشعبى (سنده) : "حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن داود بن ليلى عن الشعبى" .
عن الحسن (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال اخبرنا ابن المبارك عن هشام بن حسام عن الحسن.
عن مسلم القرى "حدثنا الحسن بن عرفه قال ثنا شبابه بن سوار عن شعبة عن مسلم القرى .
- **تفسير الطبرى** : حـ ١١ ، ص٢٢ ، ٢٣ .

الطهارة الحسية بعقد الصلة بينها وبين التطهر من الذنوب والتخلص من وسوسة الشيطان والفوز بمحبة الله وثنائه على المتطهرين .

ويرتبط بنظافة الجسم طهارة الثوب ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وثيابك فطهر" (المدثر : ٤) تعددت الأقوال فمن قائل طهرها من الإثم أو من المعاصى أو من الذنوب ، ومن قائل أصلح عملك ، وقال آخرون بل معنى ذلك أغسلها بالماء وطهرها من النجاسة ، عن محمد ابن سيرين "وثيابك فطهر" قال أغسلها بالماء ، وقال ابن زيد كان المشركون لايتطهرون فأمر أن يتطهر ويطهر ثيابه، ثم قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن سيرين وابن زيد فى ذلك أظهر معانيه"(١) .

وضرب الله مثلاً يحض المسلمين على النظافة ، إذ جعل فيها درءاً للأمراض وشفاء منها ، ففى قصة أيوب يقول تعالى : "اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب" (ص : ٤٢) عن قتادة قال ضرب برجله الأرض فإذا عينان تنبعان فشرب من أحداهما واغتسل من الأخرى ، وعن وهب بن منبه قال فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها واغتسل فأذهب الله عنه كل ماكان من البلاء"(٢) .

ومع ذلك فإن الإنسان يجب أن يرضى بما قد يصيب جسمه من سقم أو مرض ، لأنه قدر كتبه الله له من قبل أن يخلقه، وقد يعفو الله به عن بعض ذنوبه ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولافى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على اللـه

---

(١) عن محمد بن سيرين (سنده) : "حدثنى عباس بن ابى طالب قال ثنا على بن عبد الله بن جعفر عن أحمد بن موسى بن أبى مريم عن ابن عون عن محمد بن سيرين" .

- عن ابن زيد (سنده) : "حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد .

- تفسير الطبرى : حـ٢٩ ، ص٩٢ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- عن وهب بن منبه (سنده) : - "حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمه عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه .

- تفسير الطبرى : حـ٢٣ ، ص١٠٧ .

يسير" (الحديد : ٢٢) ، عن قتادة قال : أما مصيبة الأرض فالسنون، "ولافى أنفسكم" قال الأوجاع والأمراض ، قال وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولانكبة قدم ولاخلجان عرق إلا بذنب ومايعفو الله عنه أكثر"[١] .

ويتجلى الاتجاه الاسلامى الى تربية الجسم فى النهى عن الركون إلى الكسل واستمراء الحصول على الثمرة بدون عمل، وفى الدعوة إلى العمل الصالح والحث عليه باثبات جزائه وثوابه فيما زاد عن الثمانين أية من أيات القرآن الكريم ، كما فى قوله تعالى: "ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً" (النساء : ١٢٤) "ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب" (غافر : ٤٠) ويلاحظ فى الأيتين أن العمل الصالح قد ارتبط بالإيمان ، وقد جاء فى معنى الإيمان مايتفق مع الدعوة إلى العمل الصالح قال أبو جعفر : "فى تفسير قوله تعالى : "الذين يؤمنون بالغيب" (البقرة : ٣) : إن الإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل[٢] .

ويحرص الاسلام على سلامة جسم الإنسان ليصير قوياً، ويستخدم قوته هذه فى البناء وتعمير الأرض والعمل الخير لاأن يستخدمها فى البطش بالناس وإيذائهم ولافى ترويع الآمنين من عباد الله.

٢ - التربيـــة العقليـــة :

العقل ميزة عظيمة ميز الله بها الإنسان ، ورفع من قدره بين المخلوقات جميعاً ، وأثبت الله له هذا التميز منذ بداية الخليقة ، فكان إعمال العقل من أوائل الممارسات التى بدأ بها آدم حياته، كما فى قوله تعالى : "وعلم أدم الأسماء كلها" و "قال ياأدم انبئهم بأسمائهم" (البقرة : ٣١ - ٣٣).

---

(١) عن قتاده (سنده) : "حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة" .

- **تفسير الطبرى** : حـ٢٧ ، ص١٣٥ .

(٢) **تفسير الطبرى** : حـ١ ، ص٧٨ .

وهذا العقل الذى وهبه الله الإنسان جعله جديراً بغاية التمجيد ، قال تعالى : "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا" (البقرة : ٣٤) قال أبو جعفر الطبرى : "قال جل ذكره اذكروا فعلى بكم إذ اكرمت أباكم أدم بما أتيته من علمى وفضلى وكرامتى وإذ اسجدت له ملائكتى فسجدوا له. (١)

وفى أيات القرآن الكريم حث دائم للإنسان على إعمال عقله بالتأمل والتفكير للوصول إلى الحقيقة واليقين ، ولم يتضمن القرآن حكماً من الأحكام يعوق حركة العقل فى تفكيره ، أو يحول بينه وبين طلب العلم والاستزادة منه ، بل لقد بين الله للناس أن سبب الضلال والانحراف عن طريق الدين المستقيم هو عدم العمل بمقتضى هدى العقل السليم ، ففى تفسير قوله تعالى : "وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير" (الملك : ١٠) قال ابن كثير فى تفسيره : "أى لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ماأنزله الله من الحق لما كنا على ماكنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعى به ماجاءت به الرسل ، ولاكان لنا عقل يرشدنا الى اتباعهم. (٢)

بينما فهم المؤمنون ووعوا ماجاءتهم به الرسل لأنهم أعملوا عقولهم فعلموا أنه الحق من ربهم، قال تعالى: "وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون" (العنكبوت : ٤٣) وفيها قال أبو جعفر الطبرى : "يقول تعالى ذكره ومايعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التى نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلاً إلا العالمون بالله وأياته" (٣) .

وبإعمال العقل فى التدبر والتفكر فى الكون والتأمل فى مخلوقاته يصل الإنسان الى استنتاج حقيقة الوجود الإلهى وسنته فى خلقه، قال تعالى: "إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لأيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون

---

(١) تفسير الطبرى : حـ١ ، ص١٧٧ .

(٢) تفسير ابن كثير : حـ٤ ، ص٣٩٧ .

(٣) تفسير الطبرى : حـ ٢٠ ، ص٩٨ .

فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار" (آل عمران : ١٩٠ : ١٩١) وفى تفسيرها يقول أبو جعفر الطبرى : "تدبروا أيها الناس واعتبروا ففيما انشأته فخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم وفيما عقبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يعتقبان عليكم، تتصرفون فى هذا لمعاشكم وتسكنون فى هذا لراحة أجسامكم ، معتبر ومذكر وأيات وعظات ، فمن كان ذا لب وعقل يعلم أن ذلك كله بيدى أقلبه واصرفه ، ولو أبطلت ذلك لهلكتم، وأصحاب العقول الذين يذكرون الله فى كل وقت ويعتبرون بصنعة صانع ذلك فيعلمون أنه لايصنع ذلك إلا من ليس كمثله شيىء، ومن هو خالق كل شيىء لحكمة وينزهون لله أن يفعل شيئاً عبثاً. (١)

وتتجه التربية العقلية فى الإسلام إلى الحرص على سلامة العقل والنهى عن كل مايسبب له الضرر والإيذاء ، ومن ذلك تحريم شرب الخمر لما فيها من إذهاب للعقل وتضييع له ، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ؛ (البقره : ٢١٩) ، ذكر الإمام أحمد فى مسنده عن عمر ابن الخطاب : - لما نزل تحريم الخمر قال عمر : اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فنزلت هذه الأية فى سورة البقرة ، قال فدعى عمر فقرئت عليه ، فقال اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الأية التى فى سورة النساء "ياأيها الذين أمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى" فكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى أن لايقربن الصلاة سكران ، فدعى عمر فقرئت عليه ، فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافياً ، فنزلت الأية التى فى المائدة ، فدعى عمر فقرئت عليه ، فلما بلغ "فهل أنتم منتهون" قال : فقال عمر : انتهينا انتهينا" (٢) .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ٤ ص١٤٠ .

(٢) عن عمر بن الخطاب (سنده) : "حدثنا خلف بن الوليد حدثنا اسرائيل عن ابى اسحق عن ميسرة عن عمر بن الخطاب.

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، حـ١ ، رقم ٣٧٨ ، ص٣١٦ .

وهكذا تأكد تحريم الخمر قطعيا فى قوله تعالى : "يأيها الذين أمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون" (المائدة : ٩٠ - ٩١) ، وقال ابن كثير "وزاد ابن ابى حاتم بعد قول عمر انتهينا ، إنها تذهب المال وتذهب العقل.[١]

وفى قوله تعالى : "قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس" (البقرة : ٢١٩) قال ابن كثير : "أما اثمهما فهو فى الدين ، وأما المنافع فدنيوية من حيث أن فيهما تهضيم الطعام ، وتشحيذ بعض الأذهان ، وكذا بيعها والانتفاع بثمنها ، ولكن هذه المصالح لاتوازى مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين ولهذا قال تعالى : "وإثمهما أكبر من نفعهما"[٢] .

فقد ميز الله الانسان بالعقل ، ورفع من قدره به بين المخلوقات جميعاً ، وفى التربية الإسلامية حث دائم للإنسان على إعمال العقل ، بالتأمل فى الكون ، والتفكير فى مخلوقات الله للوصول إلى الحقيقة ، واليقين بالوجود الإلهى وسنته فى خلقه ، وتتجه التربية العقلية فى الإسلام إلى الدعوة إلى طلب العلم والبحث عن الحقيقة ، وإدراك قيمة العلم فى صقل العقل وتنويره، وتخليصه من الانقياد للسابقين ، وتحريره من التبعية للموروث من المعتقدات الباطلة والتقاليد الفاسدة ، حتى يرقى الإنسان إلى المكانة التى تليق بآدميته ولايتساوى بالبهائم التى لاتعى شيئاً.

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ١ ، ص٢٥٥ .

(٢) نفس المرجـــع .

٣ - التربيـــة الخلقيـــة :

وهى من الجوانب التربوية التى تتضح فيها النظرة الإسلامية التكاملية للطبيعة الإنسانية ، ففى التربية الخلقية فى الإسلام تعديل لسلوك الإنسان ، وإصلاح لأمر مكونات ذاته الإنسانية مجتمعه، قال أبو جعفر : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان نزل القرآن بمكارم الاخلاق ألم تسمعه يقول لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون"[١] وهى الأيـــة (الأنبياء : ١٠).

ولاتقتصر التربية الخلقية فى الإسلام على تطهير النفوس من الأفعال التى تسيىء إلى الفرد والمجتمع المسلم وذلك بالنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وإنما تتجه إلى تزكية النفوس بانماء قيم أخلاقية جديدة وترسيخها فى نفس المؤمن وذلك بالأمر بالفضائل والدعوة إلى كل مافيه خير المجتمع المسلم .

ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون" (النحل : ٩٠) عن ابن عباس قال العدل شهادة أن لاإله إلا الله ، والإحسان الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى فى الشدة والرخاء وذلك هو أداء فرائضه وايتاء ذى القربى اعطاء ذى القربى الحق الذى أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم[٢] فهذا مما أمر الله به .

والفحشاء فى هذا الموضع الزنا، وعنى بالبغى فى هذا الموضع الكبر والظلم، قال أبو جعفر: "وقد ذكر عن ابن عيينه أنه كان يقول فى تأويل ذلك أن معنى العدل فى هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً، وأن الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ١٧ ، ص٦ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاويه عن على عن ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : حـ١٤ ، ص١٠٩ .

عن عبد الله مسعود : إن أجمع أية فى القرآن لخير أو لشر أية فى سورة النحل" ان الله يأمر.. بالعدل والاحسان.." وعن قتادة قال انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به يستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من خلق سيىء كانو يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها.(١)

فقد نهى الله المؤمنين عن التخلق بأخلاق المنافقين ، فقال تعالى : "ياأيها الذين أمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين" (النساء : ١٤٤) قال أبو جعفر الطبرى : "هذا نهى من الله عباده المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين فيكون مثلهم فى ركوب مانهاهم عنه من موالاة أعدائه،(٢) ويكون لهم نفس جزاء المنافقين، "إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا" (النساء : ١٤٥) .

وكان الله يأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالأخلاق الفاضلة ليكون قدوة لسائر المسلمين، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين" (الاعراف : ١٩٩) عن أبّى بن كعب قال لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" ، قال النبى صلى الله عليه وسلم ماهذا ياجبريل قال أن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك . وعن قتادة قوله "خذ العفو ..." قال أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليها.(٣)

---

(١) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الشعبى عن شقير بن شكل عن عبد الله بن مسعود" .

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .

- تفسير الطبرى : حـ١٤ ، ص١٠٩ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ٥ ، ص٢١٦ .

(٣) عن أبى بن كعب (سنده) : "حدثنى يونس قال اخبرنا سفيان عن ابى بن كعب .

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده .

- تفسير الطبرى : حـ٩ ، ص١٠٤ .

ومن الأخلاق الفاضلة التى أعطى بها النبى صلى الله عليه وسلم القدوة للمسلمين ماذكره الإمام أحمد فى مسنده عن عثمان بن عفان كان يخطب فى الناس فقال : إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير. (١)

وفى التربية الأخلاقية فى الإسلام نهى عن الاندفاع فى الغضب ودعوة إلى التروى والحلم. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب، قال : "وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم" (٢) (الاعراف : ٢٠٠) وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون" (الأعراف : ٢٠١) عن سعيد بن جبير قال هو الغضب ، وعن ابن عباس فإذا هم مبصرون يقول إذا هم منتهون عن المعصية آخذون بأمر الله عاصون للشيطان" (٣) .

ومما جاء فى النهى عن الغضب والدعوة إلى الحلم والصبر فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم" (القلم : ٤٨) عن قتادة قال لاتكن

---

(١) عن عثمان بن عفان (سنده) : "حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت عباد بن زاهر أبا رواع قال سمعت عثمان بن عفان يخطب فى الناس .

- الامام احمد بن حنبل : **المسند** ، مرجع سابق ، حـ١ ، رقم ٥٠٤ ، ٣٧٨ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سنده) حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- **تفسير الطبرى** : حـ٩ ، ص١٠٤ .

(٣) عن سعيد بن جبير (سنده) : "حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن اشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير" عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال حدثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس"

- **تفسير الطبرى** : حـ ٩ ، ص١٠٧ .

كصاحب الحوت لاتكن مثله فى العجلة والغضب فلا تعجل كما عجل ولاتغضب كما غضب[1] وهذا درس من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى أسلوب تربوى قصصى يحكى قصه يونس بن متى الذى حبس فى بطن الحوت عقاباً من الله على تركه تبليغ ماأمره، وذلك حتى يصبر ولايثنيه على ماأمره الله بتبليغه تكذيبهم إياه وأذاهم له .

ومن الاخلاق الحسنة التى تتجه إليها التربية فى الرسلام ماجاء فى قوله تعالى : "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها" (النحل : ٩١) عن نافع بن زيد قال سألت يحيى بن سعيد عن قوله ولاتنقضوا الأيمان قال العهود"[2] ، توسلت التربية الأخلاقية الإسلامية فى هذه الدعوة وسيلة تربوية أخرى هى ضرب الأمثال ، فقد قال تعالى : "ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً" (النحل : ٩٢) قال أبو جعفر : عن قتاده قال فلو سمعتم بأمرأه نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم ماأحمق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده"[3] ، مما يؤكد ضرورة الالتزام بالوفاء بالوعد ، واعتباره مبدأ خلقياً ينبغى التمسك به .

والإخاء الإنسانى من أهم ماتحرص التربية الخلقية فى الإسلام على أن توثق به علاقة المسلمين بعضهم ببعض ، فالاتجاه إلى العطاء والبذل للغير والتيسير عليهم وتفريج كربهم يظهر جلياً فى مواطن كثيرة بالقرآن الكريم .

---

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- **تفسير الطبرى** : حـ٢٩ ، ص٢٨ .

(٢) عن نافع بن زيد (سنده) : "حدثنى ابن البرقى قال ثنا ابن ابى مريم قال اخبرنا نافع بن زيد قال سألت يحيى بن سعيد" .

- **تفسير الطبرى** : حـ١٤ ، ص١١١ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .

- نفس المرجع .

ومن ذلك ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، (الليل : ٥ - ٦) عن ابن عباس فأما من أعطى ماعنده من الفضل واتقى ربه وقوله وصدق بالحسنى يقول وصدق بالخلف من الله"[١] أى أن الله سيخلف له ، وذكر الإمام أحمد فى مسنده عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الله رجلاً الجنة كان سهلاً مشترياً وبائعاً وقاضياً ومقتضيا"[٢].

ومما يوضح ذلك أيضاً الدعوة إلى الإحسان الشامل للوالدين والأقارب وجميع الناس، كما جاء فى تفسير قوله تعالى : "وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا" (البقره / ٨٣) قال أبو جعفر الطبرى : "الإحسان الذى أخذ عليهم بالوالدين الميثاق نظير مافرض الله على أمتنا لهما من فعل المعروف والقول الجميل ، وخفض جناح الذل رحمة بهما . والتحنن عليهما والرأفة بهما ، وأن يصلوا رحمه ، ويتعطفوا على اليتامى بالرحمة والرأفة وأن تؤتوا المساكين حقوقهم التى ألزمها الله أموالكم وقوله "قولو للناس حسناً" قال أبو جعفر الحسن لين القول من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم وهو ماارتضاه الله وأحبه.[٣]

وصلة الرحم من أوجه الإحسان للأقارب ، الذى حثت عليه أيات القرآن الكريم وأكدته سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومواقف الصحابة والتابعين . فقد اشتكى أبو الرداد فعاده عبد الرحمن بن عوف ، فقال أبو الرداد : خيرهم وأوصلهم ماعلمت أبو محمد أو قال أبا محمد فقال

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا خالد بن عبد الله .
عن داود بن أبى هند عن عكرمه عن ابن عباس .
- **تفسير الطبرى** : حـ ٣٠ ، ص ١٤٠

(٢) عن عثمان بن عفان (سنده) : "حدثنا يونس قال ثنا عطاء بن فروخ مولى القرشيين عن عثمان بن عفان" .
- الامام أحمد بن حنبل : **المسند** ، مرجع سابق ، جـ١ ، رقم ٥٠٨ ، ص٣٧٩ .

(٣) **تفسير الطبرى** : حـ١ ، ص٣١١ .

عبد الرحمن بن عوف : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها تبته"[١] .

ومن مواقف الصحابة والتابعين مايبين أن عيادة المريض من أوجه الإحسان للناس جميعاً فبها تتحقق المشاركة الوجدانية بين المسلمين ويزداد ترابطهم الأخوى ، فقد جاء أبو موسى إلى الحسن بن علىّ يعوده ، فقال على : أعائداً جئت أم شامتاً؟ قال : لابل عائداً ، قال فقال على : ان كنت عائداً فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إذا عاد الرجل أخاه المسلم ، مشى فى خرافة الجنة حتى يجلس ، فإذا جلس غمرته الرحمة ، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح"[٢] فعيادة المرضى وصله الرحم والبر بالوالدين كلها من صور الإحسان الذى دعا الإسلام إلى الالتزام به كسمة خلقيه يتميز المسلم بها .

لقد ظهرت النظرة الإسلامية التكاملية للطبيعية الإنسانيه بوضوح فى اتجاه التربية الاخلاقية إلى تعديل سلوك الانسان وإصلاح أمر مكونات ذاته الإنسانية مجتمعه ، بدعوة الإنسان إلى طاعة الله وأداء فرائضه عن إيمان ويقين، وضبط النفس بالتروى والحلم، والصبر فى الشدة والرخاء ، وحماية الجسد من الضرر بنبذ الفحشاء والمنكر ، كما نهت عن البغى والتخلق بأخلاق المنافقين .

---

(١) عن عبد الرحمن بن عوف (سنده) : "حدثنا سفيان عن الزهرى عن ابى سلمة قال" : "اشتكى أبو الرداد .....

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، حـ٣ ، رقم ١٦٨٦ ، ص١٤١ .

(٢) عن على بن ابى طالب (سنده) : "حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن الحكم بن عتيبه عن عبد الرحمن بن ليلى قال : "جاء أبو موسى إلى الحسن بن علىّ يعوده .....

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، حـ٢ ، رقم ٦١٢ ، ص٤٢ .

ولم تقتصر التوجهات التربوية فى الإسلام على بث الأخلاق الفاضلة فى نفس المسلم باعتباره فرداً منفرداً عن الأخرين ، وإنما نظرت إليه كعضو فى جسد واحد ، فحرصت على توثيق علاقة المسلمين بعضهم ببعض بالحث على العطاء والبذل ، وتفريج الكرب والتيسير والسماحة ، والالتزام بالوفاء بالوعد ، والدعوة إلى الإحسان للوالدين وصلة الرحم وعيادة المرضى ، والعطف على الفقراء والمساكين ، وكل أوجه الإحسان الشامل للناس جميعاً ، وأيسر السبل لتحقيق ذلك اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة فى التحلى بالاخلاق الفاضلة .

٤ - التربيـــة الروحيـــة : -

من النادر أن يوجد كمال فى النفس أو حسن فى السلوك أو قدرة على التعامل العاقل ، إلا إذا وجدت تربية روحية صافية ، ذلك لأن مفاتيح النفس البشرية إنما هى فى هذه التربية التى استمدت من القرآن الكريم ومن الرسول صلى الله عليه وسلم أصولها ووسائلها فى تربية النفس الإنسانية وتزكيتها .

والتربية الروحية هى القادرة على إيجاد الإنسان على صورة من صور الكمال الانسانى ، فهو يقوم بفرائض العبودية الواجبة عليه ، فالعبادة هى الخضوع لله بالطاعة ، والإقرار بالربوبية والألوهية لله وحده دون سائر خلقه ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون" (البقرة : ٢١) عن ابن عباس قال : "قال الله أيها الناس اعبدوا ربكم أى وحدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم"[١] .

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق عن محمد بن ابى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : حـ١ ، ص١٢٥ .

والعبادة صلة دائمة بالله وقربى منه ، فقد سئل ابن عباس عن تفسير قوله تعالى : "قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى" (الشورى : ٢٣) ، فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد ، قال ابن عباس : عجلت ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال إلا أن تصلوا مابينى وبينكم من القرابة"[١] أى وصل القرابة مع الله بالصلاة والعبادة .

والله تعالى يتقبل عبادة المؤمن الصادق وصلاته ، ولايضيع ثوابه عليها أبداً ، ذكر فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وماكان الله ليضيع إيمانكم" (البقرة : ١٤٣) ، قال ابن عباس : "لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة ، قالوا كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك وهم يصلون نحو بيت المقدس ، فأنزل الله تعالى : وماكان الله ليضيع إيمانكم"[٢] ، فلا يضيع عند الله أجر المؤمن الصادق عن عمله الصالح مهما كانت ظروفه .

والإيمان هو تصديق القلب وإذعانه مع عمل الجوارح بمقتضيات ذلك، فالإيمان الكامل الذى وقر فى القلب وصدقه العمل ، فإذا أسلم قلب الإنسان وجوارحه فى كل ماكلفه الله به ظاهراً وباطناً فذلك المسلم الحق ، قال تعالى : "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين" (الزمر : ٢٢) ، وهذه الأية الكريمة فسرها ابن كثير بالقرآن الكريم ، قال : أى هل يستوى هذا ، ومن هو قاسى القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل :

---

(١) سئل ابن عباس (سنده) : "حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن عبد الملك ابن ميسرة قال سمعت طاوساً قال: سئل ابن عباس .

- الامام احمد بن حنبل : **المسند** ، مرجع سابق ، حـ٤ ، رقم ٢٥٩٩ ، ص٢٠٥ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا ابو كريم قال ثنا وكيع وعبيد الله وحدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبيد الله بن موسى جميعاً عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس .

- **تفسير الطبرى** : حـ ٢ ، ص١١ .

ورواه الإمام أحمد عن شاذان عن اسرائيل ..... إلى أخر الإسناد.

- الإمام أحمد بن حنبل : **المسند** : مرجع سابق ، حـ ٤ ، رقم ٢٦٩١ ، ص٢٤١ .

"أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها؟" (الأنعام : ١٢٢) ولهذا قال تعالى : "فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله" أى فلا تلين عند ذكره ولاتخشع ولاتعى ولاتفهم" أولئك فى ضلال مبين"[١] .

فالمسلم الحق يعرف ماهية دين الله ، ويعرف واجبه وينفذه سلباً أو إيجاباً ، تنفيذاً لأمر أو انتهاء عن نهى ، فيكون من المؤمنين المتقين ، فالتقوى هى الايمان بالله وطاعته والخوف من عقابه باجتناب نواهيه ، والتقوى هى العمل الصالح ، ففى تعريف لباس التقوى فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يابنى أدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوأتكم ولباس التقوى ذلك خير" (الأعراف : ٢٦) عن قتادة قال : "لباس التقوى هو الإيمان" ، بينما قال ابن عباس : "لباس التقوى العمل الصالح"[٢] ، والقولان المأثوران فى تفسير لباس التقوى يتكاملان ، فقد ذكر الإيمان والعمل الصالح مقترنان فيما يقرب من الستين أية قرآنية[*] .

وتتحقق التقوى إذا كان العمل صالحاً مقصوداً به وجه الله تعالى خالصاً له، لذلك نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن القيام فى المسجد الذى اتخذ ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وأخبره أن الأحق بالقيام فيه هو المسجد الذى أسس على التقوى، وهو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون ، لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ..." (التوبة : ١٠٧ : ١٠٨)

---

(١) تفسير ابن اكثير : حـ ٤ ، ص٥٠ .

(٢) عن قتاده (سنده) : "حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد بن ابى عروة عن قتادة".
عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ان عباس".
- تفسير الطبرى : حـ ٨ ، ص١١٠ .

(*) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص٤١٠ ، ٤١١ مادة ص ل ح .

عن ابن عباس قال : هم أناس من أهل النفاق من الأنصار ابتنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر الراهب ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فأتى بجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه . فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحب أن تصلى فيه ، وتدعو لنا بالبركة فأنزل الله تعالى فيه : "لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه"(١) .

ولقد أمر الله بالتقوى فى الكثير من أيات القرآن الكريم ، وجاء الأمر بها موجهاً للمؤمنين خاصة، كما وجه للناس عامة ، ومن الأيات التى توجهت بالأمر بالتقوى إلى المؤمنين قوله تعالى : -

"ياأيها الذين امنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله" (الحديد : ٢٨) .

"ياأيها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" (التوبة : ١٩) .

"ياأيها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً" (الاحزاب : ٧٠) .

"ياأيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا" (البقرة : ٢٧٨) .

ثم يعمم الأمر بالتقوى ليشمل الناس جميعاً كما فى قوله تعالى :

"ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة" (النساء : ١) .

"ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيىء عظيم" (الحج : ١) .

"ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده" (لقمان : ٣٣) .

والمتأمل للأيات السابقة يلحظ أمرين هما : -

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : حـ١١ ، ص١٩ .

أولاً : إن نداء المؤمنين اقترن بذكر لفظ الجلالة الله "اتقوا الله" ، بينما اقترن نداء عامة الناس بذكر لفظ الجلالة ربكم "اتقوا ربكم" ، فالمؤمنون قد ألهوا الله الإلهة وعبدوه العبادة ، وقد عُرِّفت الألوهية بأنها العبادة"[1] بينما عامة الناس فمنهم من لم يهتد إلى تأليه الله وعبادته بعد، فقيل ربكم – والله أعلم .

ثانياً: اقترن أمر المؤمنين بالتقوى بالدعوة إلى أمور هى من سبيل التقوى كالدعوة إلى طاعة الله بالإيمان برسوله الصادق الأمين ، وتعزيره وتأييد المسلمين ، والحرص على القول الحكيم الصائب، والنهى عن الربا .

بينما اقترن أمر عامة الناس بالتقوى بالتخويف والتحذير من يوم الحساب وبوعيد المشركين بسوء العذاب . وقد يكون هذا تأكيداً لمفهوم التقوى بأنه طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهذا يلائم المؤمنين ، وبأنه التخويف من عقاب الله وخشيه عذابه ، وهذا يناسب الذين لم يهتدوا إلى الإيمان من الناس .

ويترتب على عمل المسلم فى الإسلام أن يتنور القلب ، ويزداد نور الإيمان فيه ، وكلما زاد فى العمل ازداد نور الايمان حتى يرتقى القلب إلى مقام الإحسان ، "عن ابن عمر عن أبيه قال : جاء جبريل صلى الله عليه وسلم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يامحمد مالإسلام ؟ فقال تعبد الله ولاتشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ، قال : فإذا فعلت فأنا مسلم ؟ قال : نعم ، قال: صدقت . قال : فما الإحسان ؟ قال : تخشى الله تعالى كأنك تراه، فإن لم تك تراه فإنه يراك . قال : فإذا فعلت ذلك فأنا محسن ؟ قال نعم . قال : صدقت ، قال : فما الإيمان ؟ قال : تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث من بعد الموت، والجنة والنار، والقدر كله . قال : فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال : نعم ، قال : صدقت"[2] .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ١ ، ص٤١ .

(٢) عن ابن عمر عن ابيه (سنده) : "حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا على بن زيد عن يحيى بن يعمر قال قال ابن عمر عن ابيه" .

– الامام أحمد بن حنبل : المسند : حـ٨ ، رقم ٥٨٥٦ ، ص١٦٦ .

لقد وضح الله تعالى لعباده أنه سيكون أمام الإنسان طريقين ، وعليه أن يختار واحداً منهما، وهو يعلم مالكل من الطريقين من جزاء وعقاب ، فيتعلق مصيره فى الآخرة بطبيعة عمله فى الدنيا ، ففى تفسير قوله تعالى : "من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون" (الجاثية : ١٥) قال الطبرى : "من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره وانزجر لنهيه، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل وطلب خلاصها من عذاب الله . ومن أساء عمله فى الدنيا بمعصيته ربه وخلافه فيما أمره ونهيه فعلى نفسه حتى لأنه أوبقها بذلك واكسبها به سخط الله . ثم إلى ربكم تصيرون فيجازى المحسن منكم بإحسانه والمسيىء بإساءته"(١) .

ويتفق هذا مع ماورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون" (الجاثية : ٢١) عن قتادة قال : لعمرى لقد تفرق القوم فى الدنيا وتفرقوا عند الموت فتباينوا فى المصير"(٢) ، ويتعلق هذا التباين باختيار الانسان لنوع عمله فى الحياة الدنيا والذى سيحدد نوع جزائه ومصيره فى الآخرة .

وهكذا يكون الانسان صاحب الاختيار مسئولاً وحده عن اختياره، فلا يتمكن من التنصل منه، ولاأن يلقى تبعه عمله الذى ظهر فى غير صالحه على أحد غيره ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير" (فاطر : ١٨) ، عن قتادة قال : من يعمل صالحاً فإنما يعمل لنفسه والى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس مؤمنكم وكافركم وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير أو شر"(٣) .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ٢٥ ، ص٨٧ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة" .
- تفسير الطبرى : حـ٢٥ ، ص٨٩ .

(٣) عن قتادة (سنده) : نفس الاسناد السابق .
- تفسير الطبرى : حـ٢٢ ، ص٨٤ .

فالانسان مسئول عن أعماله مسئولية شخصية ، حيث لايشاركه أحد حمل تبعاتها ، وهى مسئولية فردية ، فلا يملك شخص ولاجماعة كاملة درء ماحاق بالانسان من عذاب جزاء ذنوبه وسيئاته التى تفرد وحده بارتكابها مختاراً وليس مجبراً ، وفى تفسير قوله تعالى : "وكلهم آتية يوم القيامة فرداً" (مريم : ٩٥) ، قال أبو جعفر الطبرى : "وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيداً لاناصر له من الله ولادافع عنه،[١] وعن ابن عباس فى قوله تعالى : "ولاتزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيىء ولو كان ذا قربى" (فاطر : ١٨) ، قال : "يكون عليه وزر لايجد أحداً يحمل عنه من وزره شيئاً"[٢] .

ولأن الانسان مسئول عن عمله فقد أعطاه الله حرية اختيار نوع هذا العمل ، ولكنه لم يسمح له أن يعيث فى الأرض فساداً باسم هذه الحرية . بل لقد وضع الله تعالى لهذه الحرية حدوداً ، عرف بنى أدم بها ، ووضحها لهم فى كتبه السماوية ، وحذرهم من تجاوزها ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون" (البقرة : ٢٢٩) ، قال الطبرى : "يعنى تعالى ذكره بذلك أن أهم الأشياء التى بينت لكم فى الأيات الماضية حدودى ، يعنى به معالم فصول مابين طاعتى ومعصيتى ، فلا تتجاوزوا ماأحللته لكم إلى ماحرمته عليكم، ومأأمرتكم به إلى مانهيتكم عنه ، ولاطاعتى إلى معصيتى" وقال ابن عباس : "يعنى بالحدود الطاعة"[٣] .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ١٦ ، ص١٠٠ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال حدثنى أبى عن ابيه عن ابن عباس.
- تفسير الطبرى : حـ٢٢ ، ص٨٤ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "نفس السند السابق" .
- تفسير الطبرى : حـ٢ ، ص٢٨٩ .

وهكذا تتضح معالم الطريق أمام الإنسان ، فإذا أطاع الله وأخلص له العبادة كان محققاً للهدف الذى من أجله خلقه الله تعالى : "وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات : ٥٦) ، قال ابن عباس : إلا ليقروا بالعبودة طوعاً وكرهاً ، وأضاف الطبرى : إلا ليذعنوا لى بالعبودة"[١] ، واستحق هذا العابد المخلص الأجر والثواب العظيم ، قال تعالى : "إلا عباد الله المخلصين ، أولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون ، فى جنات النعيم" (الصافات : ٤٠ : ٤٣) .

لم تكن التربية بكل ماتسمت به من شمول وتكامل وليدة العصور الراهنة ، وإنما تأصلت أصولها وامتدت جذورها مع بداية نزول الكتب السماوية ، وبصفة خاصة فى عصر ظهور الإسلام، ونزول الوحى بالقرآن الكريم ، وبداية تفسير القرآن تفسيراً بالمأثور من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقوال صحابته وتابعيهم رضى الله عنهم، بل ومن أيات القرآن الكريم نفسها .

واتضح مفهوم التربية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم من خلال تفسير "التربية" فى موضعهيا اللذين ذكرت فيهما من سورتى الشعراء والاسراء. وكذلك فى تفسير سورة لقمان حيث تبين أنها تعنى النمو فى مرحلة الطفولة فى حياة الانسان ، ومايقدمه الكبار كالوالدين وغيرهما من الإعداد والرعاية للأطفال فى بداية حياتهم .

إلا أن هذا لايعنى توقف التربية عند مرحلة الطفولة ، لأن الانسان فى نمو مستمر ، والتربية عملية مستمرة أيضاً ، وإذا لم يكن قد صرح باستمرار عملية التربية بعد مرحلة الطفولة فى أيات القرآن الكريم وتفسيرها بالمأثور ، فقد اتضح شمولها لكل مكونات الطبيعة الانسانية ، فتربية الجسم وتربية العقل والتربية الخلقية والتربية الروحية لاتقتصر على مرحلة الطفولة ولايعقل أن تتوقف بعدها ، بل هى مستمرة مع الإنسان وتلازمه منذ طفولته إلى صباه وشبابه ، فكان هذا الشمول فى التربية دليل استمراريتها .

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى على قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : حـ ٢٧ ، ص ٨ .

والإسلام يعترف بالطاقة الحيوية المنبعثة من الجسم ، ويتجه الى تربيتها بالتنظيم والتهذيب لابالكبت والقمع ، لذلك دعا إلى التمتع بالنعم التى أحلها الله لعباده ، ونهى عن اتباع المعتقدات الخرافية التى كانت تحرم التمتع بهذه النعم .

وكما أحل الله للناس من الطعام والشراب ماينفعهم ويفيد أجسامهم ، فقد حرم عليهم مايؤذيهم ويضر بأجسامهم ، وانطبق هذا على سائر احتياجات جسم الإنسان وشهواته ، فقد توجهت إليها التربية الإسلامية بالتنظيم والتهذيب من خلال أطر محددة تحلل له مايفيده وينفعه منها ، وتحرم عليه مايضره ويؤذيه .

وتحرص التربية الجسمية فى الإسلام على تنمية عادات العناية بالنظافة الشخصية للمسلم ، والحرص على طهارة جسمه ، ويتمثل ذلك فى فرض الغسل والوضوء قبل الصلاة والإفاضة فيه ، وترغيب الإنسان فى الطهارة الحسية بعقد الصلة بينها وبين التطهر من الذنوب والتخلص من وسوسة الشيطان والفوز بمحبة الله وثنائه على المتطهرين .

ويتجلى الاتجاه الإسلامى إلى تربية الجسم فى النهى عن الركون إلى الكسل واستمراء الحصول على الثمرة بدون عمل ، وفى الدعوة إلى العمل الصالح والحث عليه بإثبات جزائه وثوابه.

ويحرص الإسلام على سلامة جسم الانسان ليصير قوياً، ويستخدم هذه القوة فى البناء والتعمير والعمل الخير ، لاأن يستخدمها فى البطش بالناس وترويع الآمنين .

واتجهت التربية العقلية فى الإسلام إلى الدعوة الدائمة والحث على إعمال العقل بالتأمل والتفكير وطلب العلم للوصول الى الحقيقة واليقين وبينت للناس أن سبب الضلال والانحراف عن الطريق المستقيم هو عدم العمل بمقتضى هدى العقل السليم .

وتحرص التربية العقلية فى الإسلام على سلامة العقل وتهتم بصونه من كل مايسبب له الضرر والإيذاء ، كما اتضح فى تحريم الخمر لما فيها من إذهاب للعقل وتضييع له .

ويتجلى الاتجاه الاسلامى إلى تربية العقل فى الدعوة إلى طلب العلم ، وإدراك قيمة العلم فى صقل العقل وتنويره، وتخليصه من الانقياد للسابقين وتحريره من التبعية للموروث من المعتقدات الباطلة والتقاليد الفاسدة، حتى يرقى الانسان الى المكانة التى تليق به .

ولقد ظهرت النظرة الاسلامية التكاملية للطبيعة الانسانية بوضوح فى اتجاه التربية الأخلاقية إلى تعديل سلوك الإنسان ، وإصلاح أمر مكونات ذاته الإنسانية مجتمعة ، بدعوة الإنسان إلى طاعة الله وأداء فرائضه عن إيمان ويقين ، وضبط النفس بالتروى والحلم والصبر في الشدة والرخاء وحماية الجسد من الضرر بالنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى والتخلق بأخلاق المنافقين .

ولم تقتصر التوجهات التربوية فى الإسلام على بث الاخلاق الفاضلة فى نفس المسلم باعتباره فرداً منفرداً عن الأخرين ، وإنما نظرت إليه كعضو فى جسد واحد ، فحرصت على توثيق علاقة المسلمين بعضهم ببعض .

والتربية الروحية التى استمدت أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية هى القادرة على إيجاد الانسان على صورة من صور كمال النفس وحسن السلوك والقدرة على التعامل العاقل فى كل المجالات والمواقف. فهى توجه الإنسان إلى عقد صلة دائمة بالله تعالى وقربى منه ، بأداء الفروض والعبادات، الصادرة عن إيمان راسخ فى القلب يصدقه عمل الجوارح كلها فى تنفيذ الأوامر والانتهاء عن النواهى ، وبلوغ مرتبة التقوى بالعمل الصالح طاعة لله وأملاً فى رضاه وخوفاً من حسابه وخشية عقابة ، وكلما زاد العمل الصالح ازداد نور الإيمان فى قلب الإنسان حتى يرتقى إلى مقام الإحسان، فيقدر المسئولية التى حملها ويعلم انفراده بحمل تبعاتها وماسيترتب عليها من جزاء.

وعلى هذا يمكن القول بأن التربية الروحية تعد نقطة إلتقاء مجالات التربية الشاملة لكل جوانب الذات الإنسانية ، فبالتربية الجسمية تسمو الروح ، وترتفع عن مستوى الدنايا من الرجس

والشهوات، وبالتربية العقلية تنطلق الروح فى عالم أرحب ، متأملة فى ملكوت السموات والأرض، ومعتبرة بقدرة الخالق المبدع فى هذا الكون ، وبالتربية الخلقية تنمو الروح مترفعة عن الأحقاد والشرور ، متسامحة فى اعتدال ، ودودة محبة ، تحتوى الخلق جميعاً فى ترابط وجدانى عميق ، وتتجه إلى ذات الله العليا فى انقياد قدسى وطاعة وولاء ..

obeikandl.com